حب الوطن

هل هو من الإيمان؟

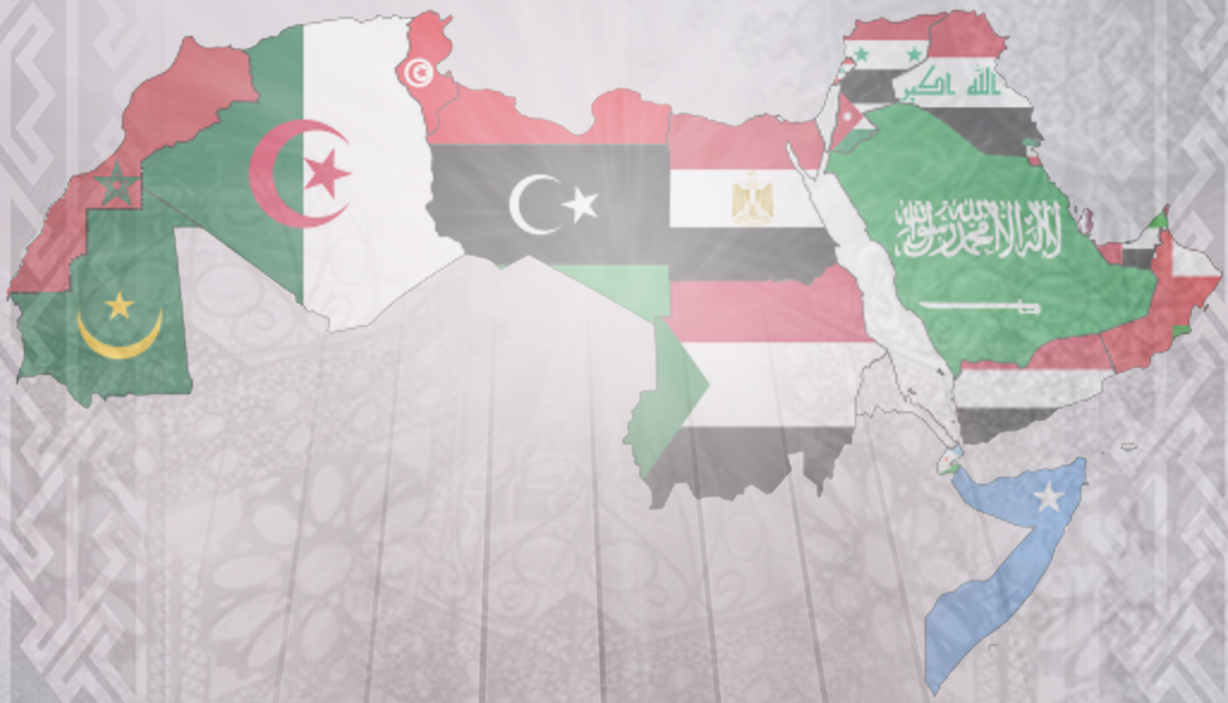

أيهن السعداوي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(سلسلة أمة واحدة)

هل حب الوطن من الإيمان؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد؛

فإن كلَّ إنسان يحمل لوطنه في جنبات نفسه معانيَ الحب والوفاء، يسرُّه ما يراه فيه من مظاهر التقدُّم والصلاح، ويحزنه ما قد يراه فيه من مظاهر التخلُّف والفساد، ويتمنى أن يكون وطنه دائمًا على أفضل حال، وفي أحسن مكان بين سائر الأمم، ومهما قد يلاقي فيه من متاعب، أو يواجه فيه من مشاكل، فيبقى وطنه عزيزًا على نفسه، قريبًا إلى قلبه.

بلادي وإن هانت علي عزيزة ولو أنني أعرى بها وأجوع[1]

و كثيرًا ما نسمع ونقرأ هذه الكلمات: «حب الوطن من الإيمان»، نسمعها أحيانًا من عامَّة الناس، وأحيانًا أخرى من بعض الدعاة والعلماء، لكننا قلَّ أن نتوقف عند هذه الكلمات لنعرف معناها، ومدى صحتها في ميزان الشرع، وهذا ما سوف نحاول أن نُلقي عليه الضوء في هذه الدراسة إن شاء الله.

أيمن السعداوي

ربيع الثاني لعام ١٤٣٨هـ الموافق يناير ٢٠١٧م

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو للشريف قتادة أبو عزيز بن إدريس بن مطاعن ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما توفي عام ٦١٧ هجرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولًا: ما معنى مقولة: حب الوطن من الإيمان؟

تعريف الحب:

لغة: المحبَّة: الحبُّ، هو نقيضُ البُغْض.

واصطلاحًا: ميلُ القلب.

وواضح من تعريف الحب أنه عملٌ قلبيٌّ، ومفهوم الحب معروفٌ لدى الكافة لا يحتاج إلى مزيدِ بيان أو إيضاح.

يقول الإمامُ القُشَيْريُّ رحمه الله: ((لا توصف المحبَّة بوصف، ولا تحدَّد بحدٍّ أوضح ولا أقرب إلى الفهم من المحبَّة، والاستقصاء في المقال عند حصول الأشكال، فإذا زاد الاستعجامُ والاستبهامُ سقطت الحاجةُ إلى الاستغراق في شرح الكلام))[1].

تعريف الوطن:

تعريف الوطن في اللغة:

قال ابن منظور: ((الوطن: المنزلُ تُقيم فيه، وهو موطنُ الإنسان،

(١) «الرسالة القشيرية» للقشيري ص ١٤٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومحلُّه، يقال: أَوْطَن فلانٌ أرضَ كذا وكذا، أي اتَّخَذها محلًّا، ومسكنًا يُقيم فيه))[1].

وقال الزبيدي: ((الوطن: منزلُ الإقامةِ من الإنسان ومحلُّه، وجمعها أوطان))[2].

تعريف الوطن في الاصطلاح:

عرَّف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله: ((الوطن الأصلي هو مولدُ الرجل، والبلد الذي هو فيه))[3].

وعند الرجوع إلى كُتب المعاجم والموسوعات- وبخاصة السياسية منها- نجدُ أنها لا تختلف عن المعنى اللغوي.

ففي «المعجم الفلسفي»: ((الوطن بالمعنى العام: منزلُ الإقامة، والوطنُ الأصلي هو المكان الذي وُلد به الإنسان، أو نشأ فيه))[4].

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور مادة (و ط ن).

(٢) «تاج العروس» للزبيدي مادة (و ط ن).

(٣) «التعريفات» للجرجاني ص ٨٤.

(٤) «المعجم الفلسفي» للدكتور: جميل صليبا. (٢/ ٥٨٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي «معجم المصطلحات السياسية الدولية»: ((الوطن: هو البلد الذي تسكنُه أُمَّةٌ، يشعر المرءُ بارتباطه بها، وانتمائِه إليهَا)).

وبعدَ هذا العرض يمكن أن نصلَ إلى تعريفٍ للوطن وهو: أن الوطنَ المراد هنا: الوطنُ الخاصُّ، أي بلد الشَّخصِ، ولادةً ونشأةً، أو نشأةً فقط[1].

وكما ذكرنا أن مفهومَ الحب معروفٌ لدى الكافة، لا يحتاج إلى مزيدِ بيانٍ أو إيضاح، فكذلك مفهومُ الوطن معروفٌ لدى الكافة لا يحتاج إلى مزيدِ بيان أو إيضاحٍ.

تعريفُ الإيمان:

الإيمان لغة: التصديقُ.

واصطلاحًا: اعتقادُ القلب، و قولُ اللسان، وعملُ الجوارح.

واعتقاد القلب يشمل عملَ القلب وقولَ القلب.

قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله: ((حقيقة الإيمان مركَّبةٌ من قولٍ وعملٍ، والقولُ قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد- يعني

(١) «حب الوطن من منظور شرعي» للدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التصديق- وقول اللسان وهو التكلُّم بكلمة الإسلام- يعني شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله- والعمل قسمان: عمل القلب وهو النية والإخلاص و الخوف... إلخ، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعُ زال الإيمانُ))[1].

ومن أعمالِ القلب الإيمانية: محبةُ الله ورسولِه وعبادِه المؤمنين، والتوكُّل على الله، والخوفِ منه، والإخلاصِ له، والإنابة إليه... ونحوهامن أعمال القلب.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أعمال القلوب: ((هي من أصولِ الإيمان، وقواعدِ الدين، مثل: محبة الله ورسوله، والتوكُّل على الله، وإخلاصِ الدين لله والشكر له، والصبر على حُكمه، والخوف منه، والرجاء له، وهذه الأعمالُ جميعُها واجبةٌ على جميعِ الخلق باتفاق أئمة الدين))[2].

والإيمانُ حين يُطلق فإنه يشملُ جميعَ أعمالِ وشرائعِ الدين

(١) «الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم ص٧٠.

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ٤٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الظاهرة والباطنة، فيشمل التكلمَ بالشهادتين، وأعمالَ الصلاة، والصدقة والحج، وحُسن الخلق، وصلة الرَّحم.

كما يشملُ التصديقَ الجازمَ بوجودِ الله وملائكتِه وكُتبِه ورسُلِه والجنةِ والنارِ؛ بالصفات الواردة في القرآن والسُّنَّة، والمحبةِ لله ورسوله، والخضوعِ لله والانقيادِ له، وخشيته ومراقبته... إلى غير ذلك من جميع أعمال وشرائع الدِّين الظاهرة والباطنة.

والمسلم يتقرب إلى الله ﷻ ويتعبَّده بجميع أعمال الإيمان الباطنة والظاهرة، ويطلب منه سبحانه الأجرَ والمثوبةَ عليها.

معنى مقولة: «حب الوطن من الإيمان»:

مما سبق يتضحُ أن قولَهم: «إن حبَّ الوطن من الإيمان». يعني أنَّ حبَّ الوطن هو أحدُ أعمالِ الإيمان الباطِنَةِ التي محلُّها القلبُ، بمعنى أنه كما أنَّ حبَّ الله ﷻ، وكذا حبَّ نبيِّه ﷺ وعبادِه المؤمنين من أعمالِ القلب الإيمانية- كما سبق أن بيَّنَّا في تعريفِ الإيمان- فإن حبَّ الوطن أيضًا هو عملٌ من أعمالِ القلب الإيمانية، وأنه إحدى القربات، وعبادةٌ كسائر العبادات، التي يتقرب المسلم إلى الله ﷻ بأدائِها، ويطلب المثوبةَ والأجرَ منه ﷻ على إتيانها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً: ما صحةُ مقولة: حب الوطن من الإيمان؟

بعد أن وضَّحنا المقصودَ بمقولة: «حب الوطن من الإيمان»، ينبغي أن نُبيِّنَ مدى صحةِ هذه المقولة من الناحية الشرعية، وذلك من خلالِ المباحث الآتية.

طريق معرفة العبادات:

الطريقُ الوحيد لمعرفة العبادات هو الوحيُ، بمعنى أنه لا يكون القولُ أو العملُ- سواءً كان هذا القول أو العمل مختصًّا بالقلب أو الجوارحِ- عبادةً إلا بنصٍّ من القرآن أو السنة، فلا تشرع عبادةٌ من العبادات إلا بدليلٍ شرعيٍّ يدلُّ على ذلك، ولا يجوزُ أن يُقال: إن هذه العبادة مشروعةٌ من جهة أصلِها أو عددِها أو هيئاتِها أو مكانها- إلا بدليلٍ شرعيٍّ يدلُّ على ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ فقد أكمل اللهُ تعالى لنا الدينَ، فما لم يُشرِّعْهُ اللهُ تعالى فليس من الدِّين.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن أبي ذر ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ**»(١).

أنواعُ الحُبِّ:

الحبُّ عملٌ من أعمال القلوب- كما سبق أن بيَّنَّا في تعريفه- ويمكن أن نُقسِّمَه إلى نوعين:

الأول: الحبُّ الفطري الجِبِلِّيُّ.

والثاني: الحبُّ الشرعيُّ الإيمانيُّ.

وقد يطرأُ سؤالٌ: إذا كان الحبُّ الشرعيُّ والفِطريُّ كلاهُما من أعمال القلوبِ، فكيف يمكن أن نُميِّز بينهما؟

هذا ما سوف نُلقي مزيدًا من الضوءِ عليه في السطور القادمة.

الحبُّ الفطري الجِبِلِّيُّ:

إن الله ﷻ حين خلَقَ الإنسانَ جَبَلَهُ وفَطَرَهُ على محبَّةِ أشياءَ كثيرةٍ في هذِه الحياةِ الدُّنيا، كحُبِّ الوالد لولَدِه، والأمِّ لوليدِها، والرَّجُلِ للمرأةِ، وحُبِّ المالِ والجَاهِ.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٦٤٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

((يُخبر تعالى أنه زيَّن للناسِ حُبَّ الشهوات الدنيوية؛ وخصَّ هذه الأمورَ المذكورةَ لأنها أعظمُ شهواتِ الدنيا، وغيرها تبعٌ لها))[1].

وقال ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ٢٠].

وأخرج البخاري ومسلمٌ؛ عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**»[2].

فهذا الحبُّ الفطريُّ متأصِّلٌ في نفوسِ البشر جميعًا؛ بحكم الخِلْقَةِ والجِبِلَّةِ، ولا يستطيع أحدٌ أن يدفعه عن نفسه.

ويتميَّز هذا النوعُ من الحُبِّ ببعض الأمورِ التي ينبغي التنبُّهُ لها:

---

(١) «تفسير السعدي» ص١٢٣.

(٢) البخارى (٥/ ٢٣٦٥) رقم (٦٠٧٥)، ومسلم (٢/ ٧٢٥) رقم (١٠٤٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أولًا: أنه عامٌّ لكل البشر، ولا يخصُّ فئةً بعينها، بل يستوي فيه المؤمنُ والكافرُ، والبَرُّ والفاجِرُ، والطائِعُ والعاصِي، والعربيُّ والأعجميُّ، والغنِيُّ والفقيرُ، وهكذا.

فكلُّ البشر خلقهم اللهُ ﷻ مجبُولِين على حُبِّ المال والنِّساءِ والأولادِ وغيرها؛ مما جُبِل الناسُ على حُبِّهِ والميلِ إليه، بل إن الحيوانات مفطُورةٌ هي الأخرى على حُبِّ بعض الأشياء التي تُناظر بعضَ ما جُبل البشرُ على حُبِّه، وهذا أمرٌ معروفٌ ومُشاهَدٌ.

ثانيًا: أنه لا يدخل في إطارِ التكليف الشرعي، ولا يترتبُ عليه ثوابٌ أو عقابٌ، ولا مدحٌ أو ذَمٌّ، ولا يؤاخذ عليه المسلم؛ إلا إذا تعارض مع النوعِ الثاني من الحُبِّ، أو أدى إلى تضييعِ واجبٍ أو حقٍّ شرعيٍّ، أو فعلٍ محرمٍ، وسوف نتعرض لهذه المسألة بشيءٍ من التفصيل.

ثالثا: لا يجوزُ أن يدفعَ الحبُّ الفطريُّ لشيءٍ ما إلى جعلِه مَعْقِدًا للولاءِ والبراءِ، كأن يحب الإنسانُ شخصًا ما أو زمانًا ما أو مكانًا ما- حُبًّا طبيعيًّا، فكلُّ من أحب هذا الشخصَ أو الزمانَ أو المكانَ أحبَّه ووالاه، وكل من أبغض ذلك أبغضه وعاداه، فهذا لا يجوز.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحبُّ الإيمانيُّ الشرعيُّ:

بيَّنَّا أن الطريقَ الوحيدَ لمعرفة العباداتِ هو الوحيُ، لذلك فالحبُّ الشرعيُّ هو الذي أتت النصوصُ الشرعيةُ الدالَّةُ عليه.

ومن ذلك حبُّ الله ﷻ وحبُّ رسوله ﷺ.

قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفي الصحيحين عن أنسِ بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[1].

والحقُّ أن هذا المعنى- وهو أن محبَّةَ الله ﷻ ومحبةَ رسوله ﷺ من أعظم أعمال الإيمان، لا يختلف عليه أحدٌ من المسلمين، ولا يحتاج إلى

---

(١) البخارى (١/ ١٤) رقم (١٦)، ومسلم (١/ ٦٦) رقم (٤٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استدلالٍ أصلًا، ولكن أحببنا فقط أن نُبيِّن أن جميعَ أعمال الإيمان، مهما كانت واضحةً لكل مسلم ولا تحتاج إلى دليل؛ فإنه قد جاء في الوحي ما يدلُّ على كونِها كذلك، فما بالك بما دونها؟!

أيضًا جاءت بعضُ النصوص الدالة على أن حبَّ بعض الأشخاص والأماكن والبلاد من الإيمان.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يُبْغِضُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مُؤْمِنٌ، وَلا يُحِبُّهُمَا مُنَافِقٌ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي، لا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ، وَمَنْ آذَى اللهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**»(٢).

وروى البخاري في «صحيحه»، عن النبي ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٠/ ١٤٤).

(٢) البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣١)، والترمذي (٥/ ٦٩٦) رقم (٣٨٦٢).

(٣) البخاري (١/ ١٤) رقم (١٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال الإمام الطحاوي في محبة أصحاب رسول الله ﷺ: ((وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ))[1].

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا**»[2].

وعن عبد الله بن عديِّ بن حمراء الزهري قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفًا على الحَزْوَرَةِ[3]، فقال: «**والله إِنَّكِ**- يعني مكة- **لَأَخْيَرُ أَرْضِ الله وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إِلَى الله** ﷻ؛ **وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[4].

ويتميز هذا النوع من الحبِّ ببعض الأمور التي ينبغي التنبُّه لها:

أولًا: أنه ليس عامًّا لكل البشر مثل الحب الفطري، بل هو خاصٌّ بفئةٍ بعينها، وهي فئة المؤمنين، فالمؤمنون فقط هم الذين يحبُّون الله ﷻ، ويحبون النبي ﷺ، ويحبون الصحابة وأبا بكر وعمر

(١) «العقيدة الطحاوية» لأبي جعفر الطحاوي، ص٥٧.

(٢) مسلم (١/ ٤٦٤) رقم (٦٧١).

(٣) موضع بمكة عند باب الحناطين. «شرح المشكاة» للطيبي (٦/ ٢٠٤٧).

(٤) أحمد (٤/ ٣٠٥) رقم (١٨٧٣٧)، والترمذى (٥/ ٧٢٢) رقم (٣٩٢٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رضي الله عنهم أجمعين، ويحبون مكةَ والمدينةَ وبيوت الله، وغيرها مما ورد في النصوص الشرعية.

أمَّا غير المؤمنين فهم لا يُشاركون المؤمنين في هذا النوع من الحُبِّ، بل ربما ترى كثيرًا منهم يبغضون اللهَ ﷻ والعياذ بالله، أو يبغضون النبيَّ ﷺ، أو الصحابة رضوان الله عليهم، أوأبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

لذلك بينت النصوصُ السابقة أن حبَّ الله ﷻ، والنبيِّ ﷺ، والصحابةِ رضوان الله عليهم، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هو الحدُّ الفارق بين المؤمنين وغيرهم.

ثانيًا: هذا النوع من الحب، وهو ما يطلق عليه الحبُّ في الله، هو من أعظم مراتب الإيمان، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى الله ﷻ الْحُبُّ فِي الله وَالْبُغْضُ فِي الله**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر رضي الله عنه: «**أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟**» قال: الله ورسوله أعلم! قال: «**الْمُوَالاةُ فِي الله، وَالْمُعَادَاةُ فِي الله، وَالْحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله**»(٢).

---

(١) أحمد (٥/ ١٤٦) رقم (٢١٣٤١)، وأبو داود (٤/ ١٩٨) رقم (٤٥٩٩).

(٢)البيهقي فى «شعب الإيمان» (٧/ ٧٠) رقم (٩٥١٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: الحبُّ الشرعيُّ هو أصلُ الولاء والبراء، فالمؤمن يجبُ عليه أن يحبَّ ويُواليَ اللهَ ورسولَه والمؤمنين، ويُبغض ويبرأ ممن سواهم.

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((أداة الحصر تدلُّ على أنه يجب قصرُ الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم))[1].

وقال رحمه الله: ((لا يكون العبد مؤمنًا بالله واليوم الآخر حقيقةً، إلا كان عاملًا على مقتضى الإيمان ولوازمِه، من محبَّة من قام بالإيمانِ وموالاته، وبُغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه، وهذا هو الإيمان على الحقيقة. وأمَّا من يزعم أنه يُؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك موادٌّ لأعداء الله، محبٌّ لمن ترك الإيمان وراءَ ظهره، فإن هذا إيمان زعميٌّ لا حقيقة له))[2].

---

(١) «تفسير السعدي» ص ٢٣٦.

(٢) «تفسير السعدي» ص ٨٤٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هل يوجد تعارض بين الحب الشرعي والحب الفطري؟

الأصلُ أنه لا تعارُضَ بين الحبِّ الشرعي والحبِّ الفطريِّ، فالحبُّ الفطريُّ مباحٌ للمسلمِ، فله أن يُحبَّ ولدَه ووالدَه وزوجَه ومالَه، بحكم كونه بشرًا مجبولًا على حبِّ هذه الأمور كما بينَّا، إلا أن يكون حبُّ هذه الأشياء في قلبِ المسلم أكبرَ من حُبِّه لله ﷻ وحُبِّه للنبي ﷺ، أو أدى هذا الحب إلى تضييعِ واجبٍ أو حقٍّ شرعيٍّ، أو فعلٍ محرمٍ، ففي هذه الحالة يكون محظورًا.

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ((أمر تعالى رسولَه أن يتوعد من آثر أهلَه وقرابتَه وعشيرتَه على الله وعلى رسولِه وجهادٍ في سبيله))[1].

وقال الإمام ابن عاشور رحمه الله: ((ارتقاء في التحذير من

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلائق التي قد تُفضي إلى التقصيرِ في القيام بواجبات الإسلام))[1].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: ((وهذه الآية الكريمة أعظمُ دليلٍ على وجوبِ محبة الله ورسولِه، وعلى تقديمِها على محبَّةِ كلِّ شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيءٌ من هذه المذكورات أحبَّ إليه من الله ورسوله، وجهادٍ في سبيله))[2].

وقال عزَّ من قائلٍ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[المجادلة: ٢٢].

وقد ثبت في الصحيحين، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»[3].

---

(١) تفسير «التحرير والتنوير» لابن عاشور (٦/ ٢٥١).

(٢) «تفسير السعدي» ص ٣٣٢.

(٣) البخاري (١/ ١٤) رقم (١٥)، ومسلم (١/ ٦٧) رقم (٤٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعبد الله بن هشام قال: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كل شيءٍ إلا من نفسِي. فقال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ**». فقال عمر: فأنت والله أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال رسول الله ﷺ: «**الْآنَ يَا عُمَرُ**»(١).

هل حب الوطن فِطريٌّ أم شرعيٌّ؟

وضحنا في السطور السابقة مفهومَ الحبِّ الشرعي والحبِّ الفطريِّ، والفرق بينهما، كما ضربنا أمثلةً لكل منهما.

والسؤال الآن: هل حب الوطن شرعيٌّ أم فطريٌّ؟

وبعبارة أخرى: هل حبُّ الوطن من الإيمان أم من الأمور الجِبِلِّيَّةِ الفطرية؟

ذكرنا أن الحبَّ الجِبِلِّيَّ يتميز بأنه عامٌّ لكل البشر، ولا يخصُّ فئةً بعينها، بل يستوي فيه المؤمن والكافر، والبَرُّ والفاجر، والطائع

(١) الحاكم (٣/ ٥١٦) رقم (٥٩٢١)، والبزار (٨/ ٣٨٣) رقم (٣٤٥٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والعاصي، والعربي والأعجمي، بينما الحبُّ الشرعيُّ هو الذي يختص به المؤمنون دونَ غيرهم، فهل حب الوطن يختص به المؤمنون دونَ غيرهم فيكون حبًّا إيمانيًّا شرعيًّا، أم أنه غريزةٌ فطرية لدى البشر جميعًا لا يستطيع أحدٌ أن يدفعها عن نفسه، مؤمنُهم وكافِرُهم، بَرُّهم وفاجرهم، عربهم وعجمهم، فيكون حبًّا جِبلِيًّا فطريًّا؟

إن الإجابةَ عن هذا السؤال واضحةٌ وضوحَ الشمس في كبد السماء، فحبُّ الوطن غريزة متأصلة في نفوس البشر جميعًا، فالمؤمن والكافر كلاهما يحبُّ وطنَه، وكذلك الطائعُ والعاصي، والعربي والأعجمي. ولا يمكن لأحدٍ أن يدعي أن المؤمنين فقط هم الذين يحبُّون أوطانَهم، بينما الكافرون لا يحبُّون أوطانَهم، بل ربما رأيت من الكافرين من يحبُّ وطنَه أكثر من حب بعض المؤمنين لأوطانهم، ولا ضير في ذلك، فحبُّ الوطن غريزة متأصِّلَةٌ في نفوس البشر جميعًا، بل ربما تكون متأصلةً في نفوس الحيوانات أيضًا التي لم يتوجه إليها خطابُ التكليف بالأساس.

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: ((والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قَفْرًا مُستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاءِ فيه، ويحنُّ إليه إذا غابَ عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِمَ، ويَغضب له إذا انتقص)).

قال ابن الرومي:

وحبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ ... مآربُ قضَّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانَهُم ذكرتهمُو ... عُهودَ الصبا فيها فحنُّوا لذلكا[1]

وقد جاء عن الأنبياء والصالحين وغيرهم ما يدلُّ على حُبِّهم لأوطانهم وتعلُّقِهم بها وحنينهم إليها.

[فهذا سيِّد البشر في ليلةِ هجرتِه- صلوات الله وسلامه عليه- إلى المدينة، وعلى مشارف مكَّة وقف يودعُ أرضَها وبيوتها، مخاطبًا لها بكلمات تكشف عن حُبٍّ عميقٍ، وتعلُّق كبيرٍ بديار الأهل والأصحاب، وموطن الصِبا وبلوغ الشباب، وعلى أرضها بيت الله الحرام، قائلًا: «**مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ! وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ**»[2].

---

(١) البيتان لابن الرومي، وهما من بحر الطويل. انظر «ديوان ابن الرومي» (١/ ٣٢٢٨).

(٢) الترمذي (٥/ ٧٢٣) رقم (٣٩٢٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي ذلك دلالة واضحة على حب النبي ﷺ الشديد لبلدِه ووطنِه مكَّة، كما تدلُّ علَى شدةِ حُزنِه لمفارقته له، إلا أنه اضطُرَّ لذلك][1].

[وهذا بلال بن رباح ﷺ، بعد هجرته من مكة إلى المدينة، وقد استبدت به الحُمَّى، فأخذ لسانه يجري ويلهج بذكر مراتع صباه، ومدارج شبابه في مكة فيقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ... بواد وحَوْلي إذخَرٌ وجَليلُ
وهل أرِدَنْ يوما مياهَ مجنَّةٍ ... وهل يَبْدُوَنَّ لي شامةٌ وطَفِيلُ[2]

ويقول أبو تمام:

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ ... الحُبِّ إِلّا لِلحَبيبِ الأَوَّلِ
كَم مَنزِلٍ في الأَرضِ يَألَفُهُ الفَتى ... وَحَنينُهُ أَبَداً لِأَوَّلِ مَنزِلِ[3]

---

(١) من مقال بعنوان: «حب الوطن من دروس الهجرة النبوية» منشور على الشبكة الإسلامية إسلام ويب بتاريخ ٠٩-١١-٢٠١٤.

(٢) البيتان لبلال بن رباح ﷺ، وهما من بحر الطويل. انظر: البخاري (٢/ ٦٦٧) رقم (١٧٩٠).

(٣) البيتان لأبي تمام؛ حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أحد أمراء البيان، ولد بسورية، ورحل إلى مصر، ثم استقدمه المعتصم إلى بغداد، فمات بها سنة ٢٣١هـ. والبيتان من بحر الكامل. انظر «ديوان أبي تمام» (١/ ٧٤٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا قيس بن الملوح يقول:

أَحِنُّ إِلى أَرضِ الحِجازِ وَحاجَتي ... خِيامٌ بِنَجدٍ دونَها الطَرفُ يَقصُرُ

وَما نَظَري مِن نَحوِ نَجدٍ بِنافِعي ... أَجَل لا وَلَكِنّي عَلى ذاكَ أَنظُرُ

أَفي كُلِّ يَومٍ عَبرَةٌ ثُمَّ نَظرَةٌ ... لَعَينِكَ يَجري ماؤُها يَتَحَدَّرُ

مَتى يَستَرِيحُ القَلبُ إِمّا مُجاوِرٌ ... حَزينٌ وَإِمّا نازِحٌ يَتَذَكَّرُ[1]

والوطن محبوب مطلوب على أيَّةِ حال، حتى لو لم يكن في جمال البلد الذي يرحلُ إليه الإنسان، قال الشاعر:

بلادٌ ألفناها على كل حالة وقد ... يُؤْلَفُ الشيء الذي ليس بالحَسن

وتُستعذب الأرض التي لا هواء بها ... ولا ماؤها عذبٌ، ولكنها وَطَن[2]

ولعل من أشهر الأبيات في هذا المعنى قول شوقي:

وطني لو شغلتُ بالخُلْدِ عنه ... نازعَتني إليه في الخلد نفسي[3]

وإن كان هذا البيت الأخير عليه مآخذ شرعية][4].

---

(١) الأبيات لقيس بن الملوح بن مزاحم العامري؛ مجنون ليلى، لم يكن مجنونًا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت سعد. مات في الحجاز سنة ٦٨هـ. والأبيات من بحر الطويل. انظر «ديوان مجنون ليلى» (١/ ٥٢).

(٢) البيتان من بحر الطويل، ولم أقف على قائلهما.

(٣) البيت لأحمد شوقي، أمير الشعراء، مولده ووفاته في القاهرة، مات سنة ١٣٥١هـ. والبيت من بحر الخفيف. انظر «ديوان أحمد شوقي» (١/ ١٨٩).

(٤) منقول عن دراسة بعنوان حب الوطن للدكتور جابر قميحة منشورة على موقع رابطة أدباء الشام بتاريخ ٢٧-٠٣-٢٠١٠م.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا حاولنا أن نستقصي ما ورد في هذا المعنى لما وسعنا مجلدات كاملة.

إذن المحبة للأوطان أمرٌ غريزي وطبيعة طبَع اللهُ النفوس عليها، وحين يولد الإنسان في أرض وينشأ فيها، فيشرب ماءها، ويتنفس هواءها، ويحيا بين أهلها، فإن فطرته تربطه بها فيحبها.

[وقد اقترن حبُّ الأرض بحب النفس في القرآن الكريم؛ قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

ولما كان الخروج من الوطن قاسيًا على النفس، فقد كان من فضائل المهاجرين أنهم فارقوا أوطانهم هجرةً في سبيل الله.

قال البدر العيني رحمه الله: ((ابتلى الله نبيَّه بفراق الوطن)).

ولما علم النبي ﷺ أنه سيبقى مهاجرًا دعا بتحبيب المدينة إليه][1]؛ فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ»[2].

---

(١) من مقال «حب الوطن في ميزان الإسلام» لعلي بن صالح السليميمنشور، من موقع جريدة الوطن العمانية بتاريخ ١٨-١١-٢٠١٦.

(٢) البخاري (٧/ ١٦١) رقم (١٨٨٩)، ومسلم (٩/ ٢٠) رقم (٣٤٠٨) من حديث عائشة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شبهة وجوابها:

قد يقول قائلٌ: كيف لا يكون حبُّ الوطن من الإيمان، وقد مرَّ بنا أنه كي نحكم على أي عمل من الأعمال أنه من أعمال الإيمان، فلابد أن يأتي نصٌّ شرعي يدلُّ على كونه كذلك، وقد جاء في الشرع ما يدلُّ على أن حب الوطن من الإيمان.

فقد روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ وقف على الْحَزْوَرَةِ لما خرج من مكة مهاجرًا إلى المدينة، فقال عن مكة: «**والله إِنَّكِ لَأَخْيَرُ أَرْضِ الله وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إِلَى الله ﷻ؛ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١).

وفي ذلك دلالة واضحة على حب النبي ﷺ الشديد لبلده ووطنه مكة، كما تدلُّ علَى شدةِ حزنِه لمفارقته له، إلا أنه اضطُرَّ لذلك.

قال الذهبي رحمه الله مُعَدِّدًا طائفةً من محبوبات النبي ﷺ: ((وكان يحبُّ عائشة، ويحبُّ أَبَاهَا، ويحبُّ أسامة، ويحب سبطَيْه، ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أُحُدٍ، ويحب وطنه، ويحب الأنصار))(٢). اهـ.

---

(١) أحمد (٤/ ٣٠٥) رقم (١٨٧٣٧)، والترمذى (٥/ ٧٢٢) رقم (٣٩٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» لأبي حامد الغزالي (١٥/ ٣٩٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاء في «صحيح البخاري»: أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته[1]. أي أسرع بها.

قال ابن حجر رحمه الله: ((فيه دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه))[2].

فهذا يدلُّ على أن حب الوطن من الإيمان، إذ إنه من فعله ﷺ.

مناقشة هذه الأدلة:

تناقش هذه الأدلة من وجهين:

الأول: أن النبي ﷺ كغيره من أنبياء الله، بشر كسائر البشر، لم يتميز عن سائر البشر إلا بأنَّ الله أوحى إليه برسالته، واختاره ليؤدي مهمة البلاغ.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [فصلت: ٦].

---

(١) البخاري (٢/ ٦٣٨) رقم (١٧٠٨).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (٣/ ٦٢١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال أيضًا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٣].

وإن اختيار الله تعالى له لحمل الرسالة لم يستتبع انخلاعَه ﷺ من رُتبة البشرية، بل بقي واحدًا من البشر، له أفعالها الجِبِلِّيَّة ﷺ.

ومن هذه الأفعال ما يقع منه اضطرارًا دون قصدٍ منه لإيقاعها مطلقًا، وذلك كما نقل أنه كان إذا سُرَّ استنارَ وجهُه كأنه قطعةُ قمر، وإذا كره شيئًا رؤي في وجهه(١).

فهذا النوع لا حكم له شرعًا؛ لوقوعه دون قصد منه ﷺ، وهو لذلك خارجٌ عن نطاق التكليف، ومن أجل ذلك لا يستفاد منه حكم، ولا يتعلق به أمرٌ باقتداء، ولا نهيٌ عن مخالفة.

ومما يُستأنس به لصحة هذه القاعدة: أن النبي ﷺ كان يَقْسِم بين نسائه فيعدل، ويقول: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**»(٢). والذي لا يملكه ﷺ هنا هو ميلُ القلب إلى إحداهن أكثرَ من الأخرى، فهذا لا قدوة فيه، والمطلوب العدلُ قدر الإمكان.

---

(١) البخاري (٣/ ١٣٠٥) رقم (٣٣٦٣)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠) رقم (٢٧٦٩).

(٢) أبو داود (١/ ٦٤٨) رقم (٢١٣٤)، والدارمي (٢/ ١٩٣) رقم (٢٢٠٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك المحبة والكراهية الطبيعيتان، كما ورد عن عائشة أنه ﷺ كان يحب الحلواء والعسل، ويحب الدباء، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد[1]. فلا قدوة في ذلك.

ومنه أنه ﷺ ترك أكل الضَّبِّ كراهةً له، قال: «**أَجِدُنِي أَعَافُهُ**»[2]. فلم يقتد به الصحابة في ذلك، بل أكله خالد بن الوليد على مائدته ﷺ[3].

ومن ذلك أيضا حبُّه ﷺ لوطنه مكة ثم المدينة، فهو في هذا كسائر البشر ﷺ، وهو فعل خارج عن نطاق التكليف، ولا يستفاد منه حكم.

يبقى أنه ﷺ لا يحب شيئًا محرمًا؛ لذلك فإن حبه لشيء ما يدل على كونه مباحًا، وعلى ضوء ذلك يفهم قول ابن حجر رحمه الله.

الثاني: أنه لو كان حبُّ الوطن من الإيمان، لكان المسلم مكلفًا ألا يحب وطنه إذا كان من بلدٍ غيرِ مسلم، وهذا لم يقل به أحدٌ، إذ إنه تكليف بما لا يطاق، وهذا لا يقع في الشريعة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» لأبي حامد الغزالي (١٥/ ٣٩٤).

(٢) الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٠٨) رقم (٣٨٢٠).

(٣) «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية» د. محمد سليمان الأشقر، (١/ ٢١٩-٢٢٢). بتصرف.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد مر بنا قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ**»، فإن ميل القلب أمرٌ خارج عن إرادة الإنسان، فتكليفه بما هو خارج عن إرادته أمرٌ محال، وهذا ما لم تأت به الشريعة الغراء.

فمثلًا: رجل نصراني من بلاد الغرب، من الطبيعي أن تراه محبًّا لوطنه الذي نشأ وعاش فيه، وموالِيًا لبلده وقومِه، ولكونه نصرانيًّا، فلن تجده محبًّا لله ولا رسوله ولا صحابته ولا المؤمنين، بل ربما تراه مبغضًا ومعاديًا لهم، فإذا أسلم هذا الرجل، فما الذي يُكلَّف به وما الذي لا يكلف به، كونه أصبح مسلمًا؟

الإجابة واضحة: يكلف بأن يحب الله ﷻ، ورسوله ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم، وعامَّة المسلمين، ويبغض الكفر والكافرين.

وقد مرت بنا الأدلة على ذلك، ولكن لا يكلف بألا يُحب وطنه وأهله، لأنه لا يمكنه ذلك، كونه أمرًا غريزيًّا متأصلًا في نفوس البشر، لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم، وتكليفه بذلك تكليف بما لا يطاق، وهذا غير واقع في الشريعة الغراء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا يؤكد أن حبَّ الوطن خارجٌ عن أعمال الإيمان، إذ لو كان كذلك لكُلف هذا الرجل بألا يحب وطنه وأهله.

وقد يقول قائل: قد نسلم فعلًا بأن هذا الرجل سوف يبقى محبًّا لوطنه وأهله رغم كونه أصبح مسلمًا، وبلده غير مسلم وأهله غير مسلمين، ولكن كيف يتفق ذلك مع القول بأنه يكلف ببغض الكفر والكافرين كونه أصبح مسلمًا، ثم لا يكلف ببغض وطنه وأهله رغم كونهم كافرين؟

والإجابة عن ذلك أنه يحب وطنه وأهله المحبة الطبيعية الغريزية، لكن الواجب مع ذلك أن لا يحبهم المحبةَ الشرعية، بل يبغضهم بسبب ما فيهم من الكفر، فيبغضهم بصفة الكفر والعداوة، ويحبهم بصفة القرابة ونحوها.

فهذه المحبة الطبيعية الناشئة بسبب القرابة أو غيرها يجب أن يصاحبها البغض لهم في الدين والبراء من شركهم، [ولا غرابة في اجتماع البغض الرباني مع الحب الطبيعي، وذلك كمحبة المسلم لزوجته الكتابية بسبب العلاقة الزوجية، وبغضها بسبب كفرها][1].

(١) من فتوى بموقع إسلام ويب.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حب الوطن وما يتعلق به من مسائل:

بعد أن قررنا أن حبَّ الوطن هو من الأمور الجبلية التي فطر عليها البشر جميعًا، وأنه لا علاقة له بالإيمان والكفر، فإنه ينطبق عليه ما ذكرناه بخصوص الحب الفطري في صدر هذه الدراسة، ومن ذلك المسائل التالية:

أولًا: حب الوطن لا يدخل في إطار التكليف الشرعي، ولا يترتب عليه ثوابٌ أو عقاب، ولا مدحٌ أو ذمٌّ، ولا يؤاخذ عليه المسلم إلا إذا تعارضَ مع الحب الشرعي، أو أدى إلى تضييع واجب أو حق شرعي، أو فعل محرم.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: ((إن حب الوطن كحبِّ النفس والمال ونحوه، كل ذلك غريزيٌّ في الإنسان، لا يمدح بحبه، ولا هو من لوازم الإيمان، ألا ترى أن الناس كلهم مشتركون في هذا الحب، لا فرق في ذلك بين مؤمنهم وكافرهم؟!))[1].

وقد بينا أنه في حال وجود تعارض بين الحب الفطري والحب

(١) «السلسلة الضعيفة» رقم (٣٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشرعي، بأن تكون المحبوبات الطبيعية في قلب المسلم أكبر من حبه لله ﷻ وحبه للنبي ﷺ، أو أدى هذا الحب إلى تضييع واجب أو حق شرعي، أو فعل محرم، ففي هذه الحالة يكون محظورًا.

وذلك كأن يكون حب المسلم لوطنه أكبر من حبه لدينه، أو أن يقدم مصلحة وطنه على مصلحة دينه في حال التعارض بينهما، أو أن يكون انتماؤه لوطنه على حساب انتمائه لدينه وعقيدته، أو أدى إلى تضييع واجب أو ارتكاب محرم.

ثانيا: حبُّ الوطن والانتماء إليه ليس معقدًا للولاء والبراء، فلا يجوز للمسلم بصفته مسلمًا أن يحب ويوالي من يحب وطنه ويبغض ويعادي من يبغض وطنه، إذا كان هذا الحب والبغض لسبب طبيعي وليس لسبب شرعي، ولا يجوز له أن يحب ويوالي من ينتمي لوطنه وإن كان لا ينتمي لدينه، إذ إن الحب الشرعي هو وحده وليس الحب الجبلي مناط الولاء والبراء، وقد شرحنا ذلك فيما تقديم من هذه الدراسة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولأهمية وخطورة هاتين المسألتين الأخيرتين في واقعنا المعاصر، فسوف نفرد لهما دراسةً مستقلَّةً إن شاء الله ضمن هذه السلسلة بعنوان: الوطنية... في ميزان الشريعة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة لابد أن نؤكد أننا جميعًا نحب أوطاننا، لأننا جميعًا بشر، ولا ضير في ذلك من الناحية الشرعية، فإن سيد البشر ﷺ كان محبًّا لوطنه، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحبون أوطانهم كما مرَّ بنا في ثنايا هذه الدراسة، ولكننا أيضًا نؤكد أن هذا الحب لأوطاننا لا علاقة له بالإيمان والكفر، ولا بثواب أو عقاب، فكل البشر مؤمنهم وكافرهم، قديمًا وحديثًا، يحبون أوطانهم، بسبب أن حب الوطن غريزة متأصلة في نفوس البشر جميعًا، لا يستطيعون دفعها عن أنفسهم، مثل سائر ما جُبل كافة الناس على حبه، كحب الأب والأم والولد والزوجة والمال، وغيرها مما جبل الناس على حبه.

كما نؤكد أننا كمسلمين حبُّنا لديننا يأتي في المقام الأول، لا نقدم عليه حب أب أو أم أو ولد أو زوج أو وطن أو أهل أو عشيرة أو جماعة، وأن ولاءنا فقط لله ﷻ، ولرسوله ﷺ، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولسائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولعموم عباد الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المؤمنين، وأننا نتبرأ ونبغض في الله كل من لا يدين بديننا، وإن كان أبًا أو أمًّا أو ولدًا أو زوجًا أو عشيرة، أو كان ينتمي إلى وطننا.

ولا ينبغي للمسلم أن يجد في نفسه حرجًا أن يعلن ذلك، فإن هذا أمر الله ﷻ، ولا ينبغي أن يكون ما يتعرض له المسلمون من هزائم ونكبات في هذا العصر، مدعاة إلى الهزيمة النفسية، وشعور المسلم بالذلة والصغار، فإن هذا الدين منصور بلا شك، ولو بعد حين.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

[المنافقون: ٨].

وصلى الله وسلم وبارك على عبده محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جدول المحتويات

هل حب الوطن من الإيمان؟ ١

مقدمة ٢

أولًا: ما معنى مقولة: حب الوطن من الإيمان؟ ٣

تعريف الحب ٣

تعريف الوطن ٣

تعريفُ الإيمان ٥

معنى مقولة: «حب الوطن من الإيمان» ٧

ثانيًا: ما صحةُ مقولة: حب الوطن من الإيمان؟ ٨

طريق معرفة العبادات ٨

أنواعُ الحُبِّ ٩

الحبُّ الفطري الـجِـبِلِّـيُّ ٩

الحبُّ الإيمانيُّ الشرعيُّ ١٢

هل يوجد تعارض بين الحب الشرعي والحب الفطري؟ ١٧

هل حب الوطن فِطريٌّ أم شرعيٌّ؟ ١٩

شبهة وجوابها ٢٥

حب الوطن وما يتعلق به من مسائل ٣١

الخاتمة ٣٤